جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 28 العدد: 5 السنة: 2024
مجلة المعيار
EL MIEYAR

مساجد الأحياء السكنية بمدينة تلمسان في العهد الإسلامي

مسجد الشيخ السنوسي أنموذجا

Mosques of residential neighborhoods in Tlemcen in the Islamic era

Sheikh Al-Senussi Mosque is a model

د. بوراي إلياس[1]
lyes.bourai@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/22 تاريخ القبول: 2024/05/15 تاريخ النشر: 2024/09/15
Received: 22/02/2024 Accepted: 15/05/2024 published: 15/09/2024

الملخص:

في هذه الدراسة سوف نتطرق لمساجد الأحياء السكنية من حيث تخطيطها المعماري وعناصرها الفنية ومكانتها الأثرية الحضارية داخل النسيج العمراني لمدينة تلمسان والإشكالية المطروحة في هذا البحث هي كيف كان تخطيط هذه المساجد الصغيرة؟ وذلك من خلال دراستنا لنموذج مسجد الشيخ السنوسي، وهل خضعت في بنائها للمعطيات المعمارية المعروفة في عمارة المساجد؟ وتكمن قيمة هذا البحث في أهمية الدراسات الأثرية المعمارية مهما كانت بسيطة التخطيط سواء من أجل التكوين الميداني أو تحقيق المعلومات التاريخية المتداولة بين الأهالي، وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي بالاعتماد على الزيارة الميدانية والاستعانة بالمقاسات والرسومات التي أنجزناها لهذا المعلم، وكنتيجة لهذه الدراسة استطعنا التعرف على عمارة مساجد الأحياء بالمدن الإسلامية القديمة مثل تلمسان التي يجب المحافظة عليها والترويج لها من أجل التنمية المحلية التي تجلبه الزيارات السياحية لها.

كلمات مفتاحية: مسجد، تلمسان، تخطيط معماري، حي، درب.

Abstract: in this study we will address these mosques in terms of their architectural planning, their artistic elements, and their cultural archaeological status within the urban fabric of the city of Tlemcen. The questions raised in this research is how were these small mosques planned? was it subject to the architectural data known in mosque architecture in its construction? The value of this research lies in the importance of archaeological and architectural studies, no matter how simple they are in planning, In this research, I followed the descriptive and analytical method, relying on the field visit and using the measurements and drawings that I completed for this landmark.

Keywords: Mosque, Tlemcen, Sheikh Senussi, architectural planning, neighborhood.

(1) جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة– الجزائر.

مقدمة:

لقد جسدت مدينة تلمسان بحق النموذج الأمثل لتخطيط المدينة الإسلامية والزائر للمدينة يستطيع أن يلاحظ بشكل واضح تميز المدينة بطابعها الإسلامي الفريد من خلال تخطيط أحيائها السكنية ومرافقها العامة حيث روعي في هذا التخطيط مبدأ الحرمات والاحترام المتبادل، حيث يُبرز تصميم المدينة ثلاث أقسام عمرانية رئيسية وهي القسم المركزي للمدينة ويمثل المركز السياسي والإداري أما القسم الثاني فهو القسم الخاص بالتجارة والإنتاج الصناعي والقسم الثالث ويمثل المركز السكني الذي يشمل الأحياء السكنية والمنازل ومختلف المرافق العامة الضرورية للساكنة (نقادي، 1992، صفحة 22)، ويحتل هذا القسم المساحة المبنية الأكبر داخل المدينة حيث نجد وحدات سكنية مقسمة تشقها الدروب والأزقة لتسهيل التنقل داخل هذه الكتلة السكنية المتداخلة من البيوت إلى مختلف المرافق على غرار التنقل إلى المساجد من أجل أداء الصلوات الخمس جماعة بين سكان الحي نفسه.

وفي هذه الدراسة سوف نتطرق لهذه المساجد من حيث تخطيطها المعماري وعناصرها الفنية ومكانتها الأثرية الحضارية داخل النسيج العمراني لمدينة تلمسان، والإشكالية المطروحة في هذا البحث هو كيف كان تخطيط مسجد الشيخ السنوسي على غرار مساجد الأحياء الأخرى في مدينة تلمسان؟ وهل خضع في بنائه للمعطيات المعمارية المعروفة في عمارة المساجد؟ وتكمن أهمية هذا البحث في أهمية الدراسات الأثرية المعمارية مهما كانت بساطة المعالم المدروسة سواء من أجل التكوين الميداني أو تحقيق المعلومات التاريخية المتداولة بين الأهالي، وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي معتمدا على الزيارة الميدانية ومستعينا بالمقاسات والرسومات التي أنجزتها لهذا المعلم.

مدينة تلمسان:

1.2 تاريخ المدينة:

تُعد تلمسان من الحواضر الإسلامية الهامة في بلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط بشكل خاص جمعت بين الموقع الطبيعي والجغرافي الاستراتيجي الغني من حيث الموارد الطبيعية وتحصينه من هجمات الغزاة ووصله قوافل التجارة بين الشرق والغرب الإفريقي حتى مشارف المحيط الأطلسي، جاء ذكر مدينة تلمسان في العديد من المصادر التاريخية وعند الرحالة والجغرافيين المسلمين لأهمتها البالغة في تاريخ المنطقة على غرار الرحالة الإدرسي(ت560هـ) في كتابه نزهة المشتاق حيث يقول:{...وتلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين وعلى هذا الجبل حصن بناه المصمودي قبل أخذه تلمسان...} (صادوق، 1983، صفحة 100).

2.2 أحياء المدينة:

تشكل أحياء مدينة تلمسان كتلة معمارية واحدة تتخللها مجموعة كبيرة من الدروب والمسالك تربط بدورها بين حي وآخر ولا تبعد عن بعضها البعض إلا ببعض الأمتار أو يفصل بين الحي والآخر درب أو زُقاق، وتوضح لنا الخرائط الطبوغرافية والمخططات

العمرانية القديمة والحديثة لمدينة تلمسان توزع الأحياء السكنية وتنتشر على كامل المدينة من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها سواء في تاجرارت أو أغادير أو المشور والمنصورة(تم ترميم جزء كبير من مرافق هذه الأحياء جرّاء التدهور الذي لحقها عبر الزمن).

وفي هذا السياق يمكن أن نذكر مجموعة من الأحياء السكنية المهمة والتي تتمركز في كل أجزاء المدينة على غرار حي باب زير، حي درب مسوفة، حي القران الكبير والصغير، حي باب علي، حي درب سيدي اليدون، حي درب سيدي الشعار أسفل المدينة شمالا وحي درب أولاد الإمام وحي درب سيدي إبراهيم أعلى المدينة غربا وحي درب الرحيبة شرقا وأحياء المشور جنوبا ...إلخ إضافة إلى الأحياء خارج أسوار المدينة مثل حي العباد العلوي والسفلي وأحياء مدينة المنصورة المرينية.

مساجد الأحياء السكنية بالمدينة الإسلامية:

1.3مساجد الأحياء السكنية:

نستطيع القول أن عدد المساجد في تلمسان بعدد أحيائها ، فأينما وجهت نظرك في تلمسان لاح لك مسجد من أي جهة (نقادي، 1992، صفحة 39) على غرار الجامع الكبير المرابطي وجامع المشور ومسجد أبي الحسن التنسي ومسجد سيدي ابراهيم المصمودي ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة هو تلك المساجد الصغيرة التي نجدها بالأساس في أحياء القسم الشمالي من المدينة بنيت منذ قرون عبر فترات زمنية مختلفة من تاريخ مدينة تلمسان، وعلى الرغم من أهمية هذه المساجد في تنظيم حياه السكان وتوزيعهم على الحي ونشاطهم الديني إلا أنها لم تحظ بالدراسة الأثرية والمعمارية الكافية، وهي مساجد صغيرة وكثيرة يُطلق عليها اسم " **مساجد أحياء** " تتميز بخصائص ومميزات معمارية وفنية فريدة أهمها غياب النمطية وقلة الزخارف أو انعدامها وهذا سبب من أسباب عدم تصنيفها إضافة إلى الدمار الكبير الذي لحق تلك الأحياء السكنية خلال فترة الاستعمار الفرنسي وكذا التحويل الكبير الذي حدث للعديد من المرافق في الأحياء بسبب أعمال الترميم بعد الاستقلال.

مكان المسجد من الحي أو الدرب غير محدد، فقد نجد المسجد عند مدخل الحي كمسجد درب مسوفة أو مسجد باب زير، ويمكن أن يكون على مستوى الساحة الداخلية للحي كمسجد سيدي الجبار أو مسجد سيدي الوزان وغير ذلك من الوضعيات المعمارية، وكما ذكرت سابقا فإن هذه المساجد بنيت في فترات مختلفة من تاريخ مدينة تلمسان مرورا بالأدارسة والمرابطين والزيانيين والمرينيين.

يقصد بمصطلح مساجد الأحياء المساجد العامية التي ذكرها الماوردي(ت 450هـ) وأبو يعلى الفراء(ت458هـ) وتسمى أيضا المساجد المختصة ومساجد العامة عند ابن خلدون(ت808هـ) { وهي التي يبنيها أهل الشوارع والقبائل في شوارعهم وقبائلهم وأمر هذه المساجد راجع إلى جيرانها من السكان وهي لا تحتاج إلى نظر خليفة أو سلطان، وتكون الإمامة فيها لمن اتفقوا عليه ورضوا به إماما، وليس لهم بعد الرضا به أن يصرفوه عن الإمامة إلا أن يتغير حاله باختلال في شروط عمله على أنه ليس لهذا الإمام المختار أن يستخلف نائبا عنه ويكون أهل المسجد أحق بالاختيار} (خلدون، صفحة 219) ، ونجد في تلمسان هذا النوع البسيط من المساجد بكثرة على غرار العديد من المدن الجزائرية حيث يدخل بنائها في اطار اعمال البر والمسارعة في الخيرات ما

يجعل سكان كل حي يتسابقون في بناء مسجد خاص بهم يقيمون فيه الصلوات الخمس فقط اما الجمعة والعيدان فيقيمونها في المسجد الجامع الذي يكون عادة وسط المدينة الكبرى مثلما هو الشأن بالجامع الكبير المرابطي بمدينة تلمسان..

2.3 إحصاء مساجد الأحياء السكنية بتلمسان:

تُحصي تلمسان العديد من هذا النوع من المساجد نذكر منها : مسجد سيدي البناء مسجد سيدي اليدون مسجد باب زير مسجد سيدي الحسن بن المخلوف الراشدي مسجد الشيخ السنوسي، مسجد لالة روية مسجد الشرفاء، مسجد سيدي زايد مسجد سيدي بوعبد الله الشريف، مسجد سيدي ابراهيم الغريب، مسجد سيدي زكري مسجد سيدي مرزوق الكفيف، مسجد سيدي الجبار مسجد سيدي حامد، والملاحظ على أغلبية هذه المساجد أنها بسيطة غير خاضعة للنمطية والأساليب المعمارية المعروفة في عمارة المساجد لأن هذه المساجد شيدت على مساحة طبوغرافية مما بقي من مساحة الحي بعد تشييد المنازل وبالتالي فهي خاضعة في تخطيطها بعد الانتهاء من تخطيط المساكن وباقي المرافق الأساسية للحي وليس قبل ذلك، وللوقوف على هذا النوع من المساجد ولتحليل هذا الأسلوب من التخطيط العمراني للمدينة الإسلامية من خلال أحياء مدينة تلمسان سوف أتناول بالدراسة المعمارية والفنية والأثرية أحد المساجد المعروفة في المدينة والتي ماتزال عامرة منذ قرون ألا وهو مسجد الشيخ السنوسي.

مسجد الشيخ السنوسي بتلمسان:

يقع مسجد الشيخ السنوسي بسوق البرادعيين فوق مدخل درب مسوفة، وقد حمل اسم الشيخ السنوسي لما كان لذلك العالم الزاهد من أثر علمي وديني في نفوس أهل حيه وبلدته، تخطيط هذا المسجد بسيط وغير خاضع للنمطية المعمارية والتخطيط المسبق على غرار كل المساجد الشعبية تقريبا حيث يرتبط تشييده بالأساس حسب عدد سكان الحي ومساحة الأرض المتبقية من خطط باقي المرافق، كما يظهر على المسجد إصلاحات وترميمات حديثة ذهبت بكل ما كان به من تناسق ورونق (شاوش، 1995، صفحة 275)، وقبل التطرق للدراسة المعمارية والفنية لهذا المسجد يجدر بنا التعرف على شخصية الشيخ السنوسي الذي ارتبط اسمه به.

1.4 شخصية الشيخ السنوسي:

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (مريم، 1986، صفحة 283) نسبة إلى قبيلة سنوس المعروفة بالجبال التي تقع غرب تلمسان، ولد السنوسي بقريته سنة 832هـ الموافق لسنة 1428م (شاوش، 1995، صفحة 215) وينتسب لقبيله سنوس من جهة الأب ويمتد نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما من جهة جدته لأبيه (H.Labbe، 1987، صفحة LXI.LXII)، وقد عاش في عهد السلطان الزياني أبي العباس أحمد ابن أبي حمو الثاني(ت790).

2.4 تعليمة:

لقد أخذ الشيخ السنوسي تعليمه من جماعة كبيرة من الأساتذة والمشايخ، وكما قال تلميذه الملالي التلمساني(ت898هـ) عن جماعته (شاوش، 1995، صفحة 511) منهم والد المذكور والشيخ العلامة نصر الزواوي والشيخ العالم محمد بن تومرت الصنهاجي والشيخ الشريف أبو الحجاج يوسف بن محمد الشريف الحسني الذي أخذ عنه القراءات السبع والشيخ أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب(ت909هـ) والعالم أبو عبد الله الحباك(ت868هـ) والإمام محمد ابن العباس الذي أقرأه الأصول والمنطق والبيان والفقه والحافظ أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري(ت895هـ) والولي الكبير الحسن ابن مخلوف المشهور بأبركان المزيلي الراشدي(ت868هـ) والإمام الورع أبو زيد الثعالبي الذي قرأ عنه الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث كما أخذ العلم عن الإمام الزاهد إبراهيم التازي(ت866هـ) وأخذ الفرائض وقواعد الحساب عن الشيخ الصالح أبي الحسن القلصادي الأندلسي(ت891هـ)، ولقد اجتهد الشيخ السنوسي حتى صار من كبار علماء تلمسان وفاق أقرانه في التفسير والحديث لا سيما التوحيد (مريم، 1986، صفحة 239)، ولقد جمع تلميذه الملالي(ت898هـ) أحواله وسيرته وفوائده في تأليف كبير في ستة عشر كراسا سماه بالمواهب القدسية في المناقب السنوسية.

3.4 حياته:

يمكننا التعرف على جوانب من حياة الشيخ السنوسي من خلال مؤلف تلميذه الملالي الذي سبق ذكره حيث اختصره ابن مريم (**هو الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد ابن أحمد الشريف المليتي المديوني التلمساني منشأ ومولدا، احترف التعليم واشتغل بالتأليف وله اثنا عشر كتابا في العقائد والأذكار والحديث النبوي.**) في كتاب " البستان " (مريم، 1986، صفحة 239)حيث أورد ما يلي{... أما عُلومه الظاهرة فله فيها نصيب وجمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب، لا يتحدث في علم إلا ظن سامعه أنه لا يُحسن غيره لا سيما علم التوحيد والمعقول، شارك غيره في العُلوم الظاهرة وانفرد بالعلوم الباطنة بل زاد على الفقهاء معرفة حل المشكلات لا سيما في التوحيد، لا يقرأ في علوم الظاهر إلا خرج منها إلى علوم الآخرة لا سيما التفسير لكثرة مراقبته وخوفه الله تعالى كأنه يُشاهد الآخرة بين يديه، وسمعته يقول ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالى ومراقبته إلا علم التوحيد وبه يفتح له في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته لله يزداد خوفه منه تعالى...} ويقول أيضا{...وارتحل الناس إليه وتبركوا به وسمعته في آخر عمره يقول من الغرائب في زماننا هذا أنه يوجد عالم جُمع له علم الظاهر والباطن على أكمل وجه بحيث ينتفع به في العالمين...وإذا سمع بوليمة أحد من أبناء الدنيا تخلف يومها عن الحضور خيفة أن يُدعى فلا يظهر بالكلية حتى تجوز أيام الوليمة وربما تخلف قبله أياما ولا يقبل عطية السلطان...وكان يكره الكتب للأمراء فإذا طولب بذلك كتب لهم حياء...ولما ألف بعض عقائده أنكر عليه كثير من العلماء وقته وتكلموا بما لا يليق فتغير بسبب ذلك كثيرا وبقي محزونا أياما..} ويقول ابن مريم(ت1014هـ) (مريم، 1986، صفحة 242){أنه بعد ذلك رأى في منامه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واضعا على رأسه بيده سيفا وعصا فهزهما على رأسه وهدده بها وكأنه قال له ما هذا الخوف من الناس، فأصبح وقد زال حزنه}" وعُرف عن الشيخ السنوسي بأنه لا يلبس لباسا مخصوصا يُعرف به ويكره الكلام بعد صلاتي الصبح والعصر ويتراخى في صلاته بتكبيرة الإحرام بع الإقامة ولا يكبر إلا بعد حين

وذكرت زوجة الشيخ السنوسي أنه إذا قام في الليل نظر إلى السماء ويقول يا سعيد كيف تنام وأنت تخاف الوعيد ثم التزم صوم عام إن رجع إلى النوم اذا استيقظ منه فمن حينئذ لا يرجع إلى النوم اذا استيقظ حتى مات (مريم، 1986، صفحة 244)، وبحق يستحق الإمام السنوسي كل عبارات التبجيل والإخلاص من أهل حيه عرفانا لهم بمجهوده الديني واعترافا منهم بعظمته وخلقه الكريم.

4.4 وفاته:

تُوفي الشيخ السنوسي بتلمسان يوم الأحد في الثاني عشر وقيل الثامن من جمادى الآخرة سنة 895هـ -1490م عن عمر ناهز الثالثة والستين63 بالتقويم الإسلامي (H.Labbe، 1987، صفحة 378)، ودفن بالمدينة القديمة بالمقبرة الكبيرة الإسلامية بمحاذاة الطريق المؤدي إلى حي العباد العلوي ولا يزال ضريحه قائما إلى اليوم (Brosslard, 1859, p. 207).

5.4 آثاره:

ترك الشيخ السنوسي مؤلفات كثيرة و في مجالات عدة بلغ عددها خمس وأربعون مؤلفا (H.Labbe, 1987, p. 378)نذكر منها شرحه الكبير المسمى " **المقرب المستوفى على الحوفى**" ألفه وهو ابن تسعة عشر سنة (شاوش، 1995، صفحة 511) ، ومؤلف خاص حول **مناقب الأربعة رجال المتأخرين – الهواري والتازي والحسن أبركان والحسن التازي–** و " **أم البراهين** " في العقائد المعروفة بالصغرى في علم التوحيد وكذلك مؤلف" **عقيدة أهل التوحيد والتمديد المخرج من ظلمات الجهل وربقة التقليد المُرغمة أنف كل مبتدع عنيد**" المعروفة بالكبرى ، و العقيدة الوسطى وشرحها والعقيدة الصغرى وشرحها ومنها " **مختصر في علم المنطق**" وكذلك " **أكمل الأكمال**" وهو شرح صحيح مسلم، وشرحه لصحيح البخاري ومشكلاته في كراستين ومختصر الزركشي وشرح {**مقدمات الجبر والمقابلة لابن الياسمين**} وشرح جمل الخونجي في المنطق **و"شرح مختصر ابن عرفة"** ، دون أن ننسى القراءات السبع وشرح قصيدة الحباك في الإسطرلاب ...الخ علاوة عن تأليفات أخرى ورسائل ووصايا ومواعظ (حاجيات، 1984، صفحة 445).

الدراسة الوصفية لمسجد السنوسي:

يغلب على الظن أن هذا المسجد أسس في القرن التاسع الهجري على يد السلطان أحمد العاقل(ت867هـ) أواخر العهد الزياني (طالب، 1992، صفحة 30)، وميزة هذا المسجد أنه بني في طابق علوي فوق مدخل درب مسوفة (**مسوفة قبيلة مرابطية شكلت اتحاداسكانيا وحي مسوفة يقع ضمن حدود تاجرارت المرابطية ، عن القبيلة أنظر م ابن أبي زرع**)، يُصعد إليه عبر درج يقع يمين الداخل الى الدرب. نصل إلى بيت الصلاة عبر رواق بدرج صاعد عدد درجاته ثلاثة عشر 13 درجة عرضها تسعون سم 90 وفي هذا الرواق فتحات للتهوية والإنارة الطبيعية على شكل مزاغل ملبسة بالإسمنت، يشتمل هذا الرواق على تسقيف جمالوني ونصف أقبية اسطوانية أما الدرجات فقد جُعلت بالآجر غُلفت حوافها برقائق معدنية للحفاظ عليها من التكسر وعند صعودنا يُقابلنا في الجدار على مستوى

الدرجة الرابعة دخلة معقودة بعقد حُدوي بها نافذة حدوية ومنها نصل إلى المدخل الرئيسي لبيت الصلاة الذي يقع أقصى الركن الجنوبي الشرقي للمسجد والدرب معا، وهذا المدخل يعلوه قوس بارتفاع 1.80م وعرض 83سم.

مسجد الشيخ السنوسي من الحجم المتوسط يأخذ الشكل المستطيل مقاساته 11.95م طولا و 8.80 م عرضا، تتألف قاعة الصلاة من قسمين غير متساويين، القسم الأول به رواقان أما القسم الثاني فهو أصغر من الأول وخال من أي تركيب أو نظام معماري(بناء عشوائي) وهذان القسمان يشكلان الأساكيب الثلاثة للمسجد الموازية لجدار القبلة كما يحتوي على ثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة متساوية الحجم.

البلاطة الأولى – بلاطة المدخل – مقاساتها 2.75م عرضا و 6.91 م طولا ، أما البلاطة الثانية فمقاساتها 2.40م عرضا و 6.63 م طولا ومقاسات البلاطة الثالثة الأكبر – بلاطة المدخل لأسفل الميضأة- 5.34م عرضا و 6.63م طولا.

يحتوي المسجد على أربعة دعامات تقع على مستوى رواق المحراب مربعة الشكل بمقاس 54x54 سم تحمل عقودا حدوية بشكل عمودي على جدار القبلة ارتفاعها 2.79م والعقد الحدوي بفتحة مقدارها 1.90م والمنبت 1.91م. كما نجد في الجدار المقابل للمحراب عقدين أصغر حجما وأقل تنظيما بارتفاع2م لم يخضعا للنظام المعماري المعروف في تشكيل العقود(المنبت، الفتحة ...).

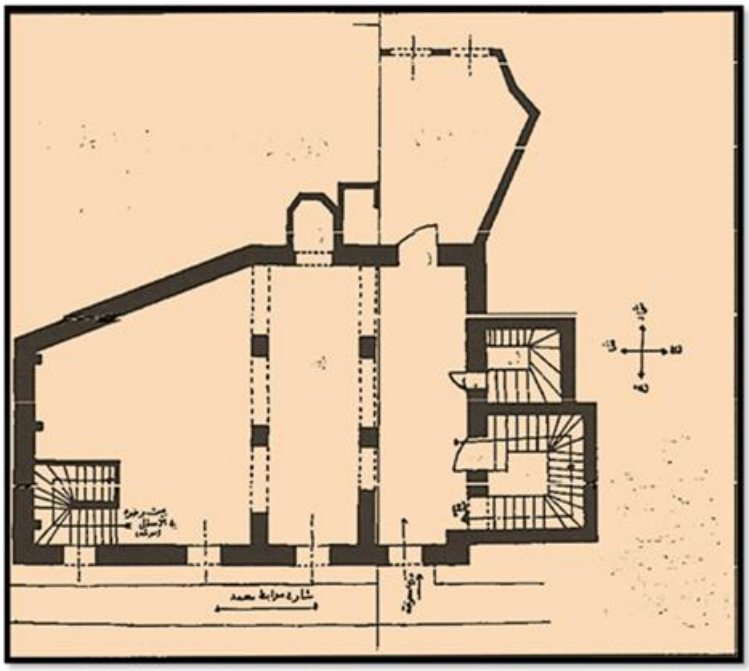

شكل رقم :01– مخطط مسجد الشيخ السنوسي المقياس 1/50

– من عمل الباحث–

تعليق: يمثل الشكل المرفق المخطط الهندسي لمسجد الشيخ السنوسي وهو المسقط الأفقي الذي تم انجازه من خلال الرفع المعماري للمسجد بعد أخذ المقاسات والنسب الأساسية لعناصر بيت الصلاة التي تظهر بشكل مستطيل أما المسجد ككل فيظهر بشكل شبه منحرف.

1.5 المحراب:

يتوسط المحراب جدار القبلة وهو من النوع المضلع يتكون من خمسة أضلاع غير متساوية الحجم مقاساتها من اليمين إلى اليسار: 91سم،43سم،43سم،91سم وهذا الترتيب يحقق لنا ما يُسمى بالتناظر في العمارة الإسلامية، ارتفاع المحراب 2.75م وعرضه 93سم أما عمقه في الجدار فيبلغ 1.35م، يعلو المحراب من الداخل قبة مضلعة الشكل من ثمانية أضلاع ارتفاعها 2.30م ، أما واجهة المحراب فيعلوه عقد متجاوز ارتفاعه من المنبت 65سم يُحيط به إطار مدمج بالجدار مربع الشكل به بعض الزخارف البسيطة جدا.

2.5 النوافذ:

يحتوي مسجد الشيخ السنوسي على أربعة نوافذ حدوية كبيرة تقع في الجدار الجنوبي للمسجد تُطل على شارع ابن خلدون، عُملت اثنتين منها بدخلة معقودة بعقد حدوي في مؤخر جدار البلاطة الأولى وبلاطة المحراب أما النافذتين الباقيتين الواقعتين في مؤخر جدار البلاطة الثالثة فعُملتا بشكل عادي في الجدار بعرض 84سم، كما نجد مجموعة من الشمسيات واحدة أعلى السقف في الجدار القبلة وأُخرى مقابلة لها في جدار مؤخر المسجد على مستوى البلاطة الوسطى، وشمسية تعلو المحراب تقابلها شمسية مشابهة لها في جدار مؤخر المسجد وهذا لأجل التهوية والإنارة الطبيعية.

3.5 التسقيف:

تسقيف المسجد أصلي يأخذ شكلا منحدرا مائلا أو هرميا شُكل بواسطة عوارض خشبية مُدمجة ببعضها البعض يعلوها قرميد وُضع لاحقا أثناء عمليات الترميم الحديثة.

4.5 المئذنة:

يقع الباب المؤدي إلى أعلى المئذنة يمين المدخل الرئيسي للمسجد، ويبعد عنه بحوالي 54سم عرض هذا الباب 88سم وارتفاعه 1.60م وتقع المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد تطل من جهة الجنوب على شارع ابن خلدون ومن جهة الشمال على زقاق فرعي من أزقة درب مسوفة غير نافذ نحو الشرق، يُصعد للمئذنة بواسطة درج يتكون من 36 درجة مصنوعة من الآجر عرضها نصف متر تقريبا، يلتف هذا السلم حول نواة مُصمتة تسقيفه من الداخل بأقبية نصف اسطوانية تارة وأقبية متقاطعة في الأركان تارة أخرى ، وعلى مستوى الدرجة 31 من السلم تقابلنا غرفة صغيرة مدمجة في بدن المئذنة وهذه ظاهرة معمارية معروفة في كثير من المآذن الزيانية والمرينية في تلمسان، ونجد حواف درجات سلم المئذنة قد أُضيفت لها عوارض خشبية للمحافظة عليها من التلف.

بنيت المئذنة من مادة الآجر الأحمر ولبست من الداخل بالملاط، تفتح بها مجموعة من النوافذ المزغلية المعروفة في العمارة العسكرية، وفي نهاية السلم المؤدي لأعلى المئذنة نجد باب صغير يُؤدي للشرفة ذات المسننات من جهاتها الأربعة، ويتوسط سطح المئذنة جوسق به نوافذ صماء يعلوها عقد مفصص وينتهي الجوسق بقبة يخرج منها جامور معدني خال من التفاحات المعدنية والهلال.

5.5 الوصف الخارجي للمئذنة:

يلاحظ من الخارج أن قاعدة المئذنة وجزء من بدنها مدمج بين المسجد والمساكن والحوانيت والدرب، ويقدر ارتفاعها بحوالي 15 مترا والجوسق بنحو 4 أمتار ، تنقسم هذه المئذنة إلى ثلاثة كتلات معمارية الأولى: تتوسطها حشوة مربعة بها أعمدة تحمل عقدان مفصصان والكتلة الثانية: تتوسطها حشوة مستطيلة بها عقود متقاطعة، أما الكتلة الثالثة: فتتوسطها حشوة مستطيلة أيضا بها أعمدة تحمل ثلاثة عقود مفصصة على نظام الطبقة الأولى، وهذا التركيب المعماري والزخرفي ينطبق على كل واجهات المئذنة الأربع حيث يتحقق لنا التناظر والتكرار المعروف في الفنون الإسلامية.

6.5ملاحق المسجد.

يحتوي مسجد الشيخ السنوسي على بعض الملاحق مثل:

* **الصحن** الذي يقع بابه في الركن الشرقي لجدار القبلة ، عرض هذا الباب 1م وارتفاعه 1.84م يؤدي إلى فراغ أو صحن مستطيل الشكل يقع فوق مدخل الدرب بامتداد نحو الشمال تتخلله نافذتان في الجدار الشمالي يعلوهما عقد حدوي تطلان على الدرب ويرجح أن هذا الفراغ كان الميضأة الأصلية للمسجد أو مقصورة خاصة بالإمام في الأيام الصحوة.

* **غرفة تعليم القرآن:** تقع هذه الغرفة على يسار مدخل درب مسوفة وتبعد حوالي ثلاثة أمتار من المدخل المؤدي إلى أعلى المسجد وهي ذات شكل مربع صغيرة الحجم تتسع لعدد قليل من المتعلمين، كما أنها تحمل جزءً من المسجد نفسه حيث يقع فوقها المحراب ورواق القبلة، وكانت هذه الغرفة خاصة بالمؤذن في الأصل كما هو مبين في الوقفية التي سيأتي ذكرها لاحقا.

* **وقفية مسجد السنوسي:** تتموضع هذه الوقفية في وسط الجدار الشرقي للمسجد وهي ذات شكل مربع بمقاس1.8X1.8م مكتوبة بخط كوفي بسيط صعبة القراءة نوعا ما بسبب تداخل بعض الحروف وطمس بعضها الآخر لكن يمكننا قراءة بعض السطور الأولى على النحو التالي:

س1- بسم الله الرحمان الرحيم والسلام على سيد المرسلين.

س2- أما بعد فهذا قيد حبس مسجد الشيخ البركة سيدي محمد السنوسي.

س3- الأولى من ذلك دار المؤذن التي عند باب المسجد مع جميع الدار الكامنة.

س4- في الزنقة الأولى من الدرب يمين الداخل في أربعة....تحت المسجد.

* **الميضأة:** حديثة البناء يُنزل إليها عبر سلم نازل عدد درجاته ثلاثة عشرة درجة عرضها 96سم موصولة ببيت الصلاة من الركن الجنوبي للمسجد ويحيط بهذا السلم نصف جدار بارتفاع متر واحد وطول 2.24م وبانكسار نحو المنفذ إلى الأسفل بحوالي 1.22م لحماية المصلين من السقوط، وتتخذ الشكل المستطيل بطول 6م وعرض 3.65م.

7.5 الوصف الفني ومواد البناء.

يعتبر هذا المسجد خال من الزخرفة أو أي أثر فني في الوقت الحالي، بسبب أن هذا النوع من المساجد لا يخضع للنمطية المعمارية والفنية المعروفة في عمارة المساجد ولأنه ما يسمى بالمساجد الخاصة بأهل الحي من أجل أداء الصلوات الخمس في وقتها دون عناء التنقل إلى وسط المدينة من أجل الصلاة في المساجد السلطانية الكبرى، كما أنه لا تقام فيه الخطبة وصلاة الجمعة أو العيدين فهو مسجد بسيط مخصص لعدد محدود من أهل الحي وبالتالي لا يحتاج إلى أي زخرفة أو تزويق عكس المساجد الكبرى وهو تعبيرا كذلك عن الزهد والتقشف على نهج إمامهم الشيخ السنوسي رحمه الله.

أما مواد البناء في هذا المسجد – على غرار كل المباني القديمة – هي بالأساس مادة الآجر الذي بني به المسجد والدرج والمئذنة إضافة إلى الملاط الذي كمادة للتلحيم والتثبيت بن قطع الآجر وكذا لكساء وتلبيس المسجد من الداخل والخارج، إضافة إلى العوارض الخشبية الأصلية والحديثة دون أن ننسى المواد الحديثة مثل الإسمنت الذي أضيف خلال عمليات الترميم للمسجد.

الدراسة التحليلية لمسجد السنوسي:

1.6 الخصائص المعمارية لمساجد الأحياء السكنية:

يعتبر جامع الشيخ السنوسي من المساجد الصغيرة التي يطلق عليها اسم المساجد العامية كما ذكرنا سابقا ومن خصائص هذا المسجد أنه بني في طبقة علوية وليس على الأرض وهو يُذكرنا بمسجد الصالح طلائع بمصر وبالعودة إلى المعاينة الميدانية والرفع المعماري الأثري وأخذ المقاسات والصور نستطيع القول أن مسجد الشيخ السنوسي من المساجد الخاصة بسكان حي درب مسوفة على غرار باقي مساجد أحياء مدينة تلمسان الكثيرة لذلك فهو ذو حجم صغير ولم يخضع للتخطيط المسبق لذلك يظهر في شكل غير منسجم معماريا لأن الهدف من إقامته هو تخصيص المكان من أجل إقامة الصلوات الخمس في وقتها، فنلاحظ الاختلاف بين المقاسات لنفس العناصر المعمارية كالبوائك والأعمدة ...الخ.

ولكن مع ذلك فإن تخطيط المسجد اتبع نفس النمط المعروف في المساجد المغربية والأندلسية فنجد البلاطات عمودية على جدار القبلة أما التسقيف فيتبع الشكل الهرمي المغطى بالقرميد، محراب المسجد من النوع المضلع المعروف في العمارة العثمانية خاصة، أما المئذنة المربعة فهي تعبر عن الطراز المغربي الأندلسي كما أن زخارفها تمثل الطراز الزياني الموجود على مآذن الجامع الكبير وجامع الجزائر وجامع ندرومة كما نلاحظ انعدام عنصري القبة والمنبر كون المسجد خاص بالصلوات الخمس فقط وعلى العموم يمكننا أن نحدد مجموعة من الخصائص المعمارية والفنية لمساجد الأحياء بمدينة تلمسان من خلال المعاينة الميدانية والدراسات التي تناولت

بعضها (لعرج، 1992، صفحة 105) (أنظر أيضا/عبد العزيز لعرج(ت2021م) المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية) وعليه يمكننا القول بأن هذه المساجد يعود العديد منها لما قبل فترة بناء الجامع المرابطي الكبير حسب الاعتقاد الشائع بين السكان مع أنه لا يمكن التأكد من هذه المعلومات في غياب النصوص التاريخية والأثرية الصريحة عن تاريخ البناء(اللوحات التأسيسية)، ولكن مع ذلك يمكننا أن نعطي تاريخا تقريبيا من خلال المميزات المعمارية والفنية المتشابهة بين المساجد وبالتالي يمكننا القول أن مساجد الأحياء بمدينة تلمسان يعود تاريخيها تقريبا لكل الفترات التي مرت عليها المدينة كالفترة المرابطية والموحدية والزيانية والمرينية والعثمانية.

ومن بين الخصائص أيضا أن هذه هي مساجد صغيرة الحجم، ليس بها منابر وتتسع لعدد محدود جدا من المصلين وتحتل عمق الأحياء لدرجة لا يمكن التفريق بينها وبين المنازل السكنية خاصة بالنسبة للغرباء عن الحي بسبب انعدام المئذنة والقبة، كما أن المساجد تحمل أسماء الأحياء والدروب التي تتواجد بها أو أسماء الصالحين والمشاهير من سكان الحي نفسه أو أسماء الأبواب القريبة منها.

– هي مساجد ذات تخطيط بسيط من الداخل والخارج، لا تحتوي على عنصر العمود بالشكل الذي نراه في المساجد النظامية الجامعة والاكتفاء بالدعامات البسيطة.

– خلو هذه المساجد من الميضأة – إلا ما استحدث منها –كونها قريبة من المنازل.

– انعدام عنصر المئذنة والقبة في الكثير منها كون هذه المساجد ربما كانت مرافق أخرى ثم تحولت إلى مساجد لاحقا.

– الوظيفة الرئيسية لهذه المساجد هي تعليم القرآن –كتاتيب–

– مساجد عرفت ترميمات عديدة غيرت من خصائصها المعمارية والفنية الأصلية.

2.6 العوامل المتحكمة في تخطيط مساجد الأحياء.

لقد بُنيت مساجد أحياء مدينة تلمسان الإسلامية لعدد محدود ومحدد من السكان لذلك فهي صغيرة الحجم وغير خاضعة للنمطية والتخطيط المعماري المعروف في العمارة وهذا لأن هذا النوع من المساجد يخضع لعاملين أساسيين وهما:

أولهما/ العمل الطبوغرافي: وهي المساحة التي تحدد حجم المسجد ومكانه وشكله الهندسي الذي سيتخذه وعلى هذا الأساس نجد أن مسجد الحي بني في مكان مزدحم ومساحة ضيّقة تشغلها المنازل والحوانيت، لذلك فإن فكرة بناء مسجد الحي تأتي بعد الانتهاء من بناء المنازل السكنية والمرافق الأخرى لهذا السبب تكون المساجد غير منتظمة وصغيرة.

أما العامل الثاني فهو/ العامل الديمغرافي: الذي يمثل سكان الحي الذين يشغلون المساجد الواقعة بأحيائهم، لذلك فإن حجم المسجد يحدده أيضا عدد سكان الحي وهم في الغالب يكون عددهم بين 20 و 50 فردا مما يسعهم المسجد للصلاة حسب معاينتنا الميدانية لها، إذا هناك علاقة واضحة بين تخطيط المسجد والموقع وعدد المصلين.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة استطعنا تسليط الضوء على نوع من المعالم الأثرية وهي المساجد الصغيرة الخاصة بالأهالي داخل المدينة الإسلامية والتي تتوزع على العديد من الأحياء تسهيلا على السكان لقضاء صلواتهم في أيسر الأحوال، على غرار مسجد الشيخ السنوسي فهو ذو بناء بسيط جدا خالي من أي زخارف لكنه ارتبط اسمه بعالم جليل ترك أثره بين الأهالي فخلدوه لقرون عديدة.

وتبين لنا أيضا أهمية هذا المعلم كونه بُني في طبقة علوية عند مدخل الحي وهذا ابتكار جديد في العمارة الدينية الإسلامية بتلمسان، كما أن الأهمية تكمن في استفادة طلبة الآثار والترميم في تعلم طريقة الرفع المعماري الأثري وأخذ المقاسات والصور بسبب صغر كتلة هذا المسجد عكس المساجد الكبيرة التي تتطلب وسائل خاصة قد لا تكون متاحة، وبالتالي كتوصيات يمكن أن ندرجها في نهاية هذا المقال هـ هي وجوب المحافظة على مثل هذه المباني التاريخية والأثرية والعمل على حمايتها وتصنيفها لأنها عبارة عن عناصر تعليمية وتكوينية في مجال البحث الأثري ولأنها تمثل إرثاً حضارياً يحكي لنا جوانب مهمة من تاريخ بلاد الجزائر المسلمة.

الملاحق:

صورة رقم :1– منظر عام لمسجد الشيخ السنوسي

صورة رقم :2- المدخل الرئيسي لمسجد الشيخ السنوسي

صورة رقم :3- مئذنة مسجد الشيخ السنوسي

صورة رقم :4- محراب مسجد الشيخ السنوسي

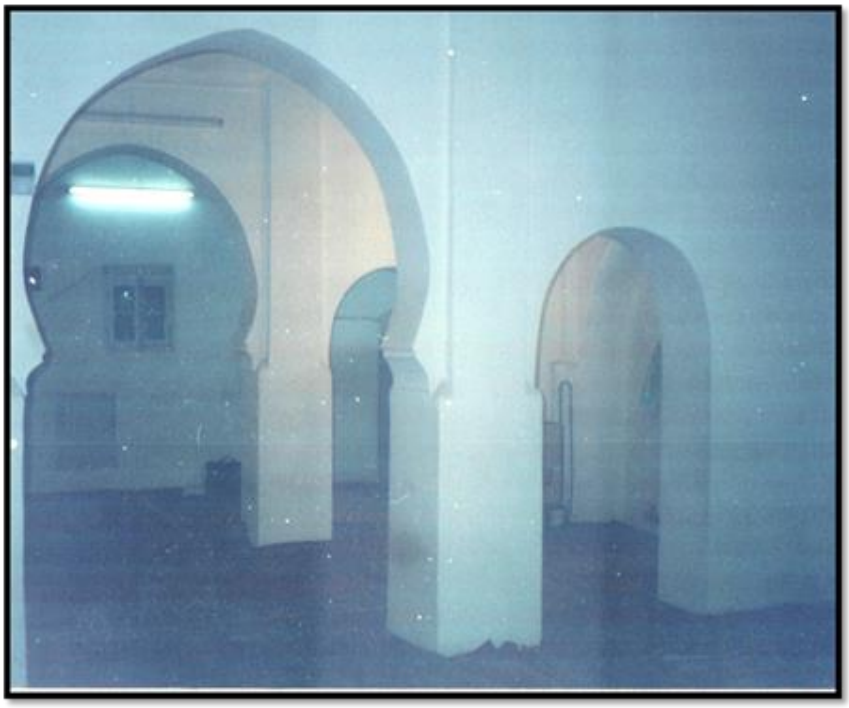

صورة رقم :5- بوائك بيت الصلاة بمسجد الشيخ السنوسي

المصادر والمراجع:

ابن مريم. (1986). *البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان* . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

Ibn Maryam. (1986). al-Bustān fī dhikr al-awliyā' wa-al-'ulamā' fī Tilimsān. al-Jazā'ir : Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'īyah.

الحاج رمضان شاوش. (1995). *باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

al-Ḥājj Ramaḍān Shāwish. (1995). Bāqah al-sawsān fī al-ta'rīf bi-ḥaḍārat Tilimsān 'Āṣimat Dawlat Banī Zayyān. al-Jazā'ir : Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'īyah.

الحاج صادوق. (1983). *المغرب العربي من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

al-Ḥājj ṣādwq. (1983). al-Maghrib al-'Arabī min Nuzhat al-mushtāq fī ikhtirāq al-Āfāq. al-Jazā'ir : Dīwān al-Maṭbū'āt al-Jāmi'īyah

رشيد بورويبة – عبد الحميد حاجيات. (1984). *الجزائر في التاريخ العهد الاسلامي* (المجلد ج3). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

Rashīd Būruwaybah-'Abd al-Ḥamīd Ḥājīyāt. (1984). al-Jazā'ir fī al-tārīkh al-'ahd al-Islāmī (al-mujallad j3). al-Jazā'ir : al-Mu'assasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb.

سيدي امحمد نقادي. (1992). *التصميم العمراني لمدينة تلمسان ودلالاته الاجتماعية*. تلمسان: معهد الثقافة الشعبية–جامعة تلمسان.

Sīdī Imḥammad Naqqādī. (1992). al-taṣmīm al-'Umrānī li-madīnat Tilimsān wa-dalālātuhu al-ijtimā'īyah. Tilimsān : Ma'had al-Thaqāfah alsh'byt-jām'h Tilimsān.

عبد الرحمان ابن خلدون. (د س). *المقدمة*. بيروت: دار الجيل.

'Abd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (D S). al-muqaddimah. Bayrūt : Dār al-Jīl.

عبد العزيز لعرج. (1992). المساجد الزيانية بتلمسان. *حوليات جامعة الجزائر، 6*، صفحة 105.

'Abd al-'Azīz La'raj. (1992). al-masājid al-Ziyānīyah bi-Tilimsān. Ḥawlīyāt jāmi'īyah al-Jazā'ir, 6, ṣafḥah 105.

محي الدين أبو طالب. (1992). *مقتطف من نظم الدر والعقيان للتنسي*. الجزائر: منشورات دحلب.

Muḥyī al-Dīn Abū Ṭālib. (1992). Muqtaṭaf min naẓm al-Durr wa-al-'uqyān lltnsy. al-Jazā'ir : Manshūrāt Daḥlab.

CH Brosslard .(1859) .*Revue Africaine* . PARIS.

J.J.L Barges H.Labbe .(1987) .*complément de l ,histoire de beni Ziane , roi de tlemcen* .PARIS: Ernest Leroux, libraire éditeur.